فِراسةُ كشفِ الكذبِ

أقسامُ الناسِ

ما من شكٍّ أن هذا البابِ من أهمِّ أبواب الفِراسةِ لأن الناسَ قسمان:

- صديقٌ صدوقٌ.

- كذوبٌ لا خيرَ فيه.

وهذا الأخيرُ زَهدَ الناسُ فيه حتَّى أقربُ المقربين إليه لأن من استحلى رضاعَ الكذبِ عَسُرَ فطامُهُ»[١].

والنبيُّ -ﷺ- يقول: «إياكم والكذبَ، فإنه يهدي إلى الفجورِ، وإن الفجورَ يهدي إلى النارِ، وإن الرجلَ ليكذبُ حتَّى يُكتَبَ عند الله كذابًا»[٢].

والكذابُ ليس له صديقٌ إلا من شاكلته، أما الصالحون فحظُّهُ منهم النسيانُ كما قال نصرُ بن علي الجهضميُّ -رحمه الله-: «إنَّ اللهَ أعاننا على الكذابين بالنسيانِ»[٣].

• الصدقُ عزٌّ والكذبُ خضوعٌ

والكذابُ مهانٌ ذليلٌ والصادقُ مصانٌ جليلٌ كما قيل: «ما عَزَّ ذو كَذِب ولو أخَذَ التمرينُ بيديه، ولا ذُلَّ ذُو صدقٍ ولو اتَّفَقَ العَالمُ عليه»[٤] ولله در القائلِ:

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (٢٩٢).

(٢) رواه «البخاري» و«مسلم» (٢٦٠٧)، من حديث عبد الله ابن مسعود -رضي الله عنه-.

(٣) «روضة العقلاء» (٥٣).

(٤) «محاضرة الأدباء» (١/ ٢٤٧).

لا يكذبُ المرءُ إلاَّ من مهانتِه ... أو عادةِ السوءِ أو من قلَّةِ الأدبِ

لجيفةُ الكلبِ عندي خيرُ رائحةٍ ... من كذبةِ المرءِ في جدٍّ وفي لَعِبِ[1]

● الكذبُ في الفِراسةِ

١- الفِراسةُ الإيمانيَّةُ

يحصلُ كشفُ الكذبِ عن طريقِ الفراسةِ الإيمانيةِ التي يختصُّ اللهُ بعضَ عبادِه والتي تُنْبِئُ صاحبَها بسوءِ نيَّةِ الطرفِ المقبلِ له وهذه الفِراسةُ تقدَّمَ الحديثُ عنها فلا نعيدُ.

٢- الفِراسةُ الخَلْقيةُ (المكتسبةُ)

اكتشافُ الكذبِ عن طريقِ الفراسةِ الخلقيةِ (المكتسبةِ) أكثرُ شيوعًا في العالَمِ.

وذلك واقعٌ -بعد مشيئةِ اللهِ- بالعلمِ، وقوةِ العقلِ، وحُسْنِ النظرِ وقياسِ الأشياءِ بالأشياءِ، وطولِ التجاربِ، وأَصالةِ الرأيِ قالَ الطفرائيُّ:

أصالةُ الرأيِ صانتني عن الخَطَلِ ... وحليةُ الفَضْلِ زانتني لدى العَطَلِ

● القرآنُ يسبقُ العلمَ في كشفِ الكذبِ

قالَ اللهُ -سبحانه وتعالى- عن المنافقين الذين دينهُم الكذبُ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

قال ابنُ القيمِ -رحمهُ اللهُ-: «فالأوَّلُ فِراسةُ النظرِ والعينِ، والثاني فِراسةُ الأذنِ والسمعِ»[2].

وقال: «والمقصودُ أنه سبحانه وتعالى أقسمَ على معرفتهم من لَحْنِ خطابهم؛ فإن معرفةَ المتكلِّمَ وما في ضميرِه من كلامِه أقربُ من معرفةِ بسيماهُ وما في وَجْهِه؛ فإن

(١) «الظرفُ والظرفاءُ» (٩٨)، و«نهاية الأدب» (٣/ ٣٦٣).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٥٨).

دلالةَ الكلامِ أقربُ على قصد قائله وضميره أظهرُ من السيماء المرئية، والفراسةُ تتعلقُ بالنوعين بالنظر والسماع»[١] فأنت ترى أن الآيةَ قد دلتْ على أن النفاقَ والكذبَ يظهران على وجه صاحبهما: «فلعرفتهم بسيماهم».

أي بالتعبير المرسوم على وجوههم وأن هذا الكذبَ يظهرُ في صوتهم: «لتَعرفنهم في لحن القول».

ولحنُ القول هو تلك النغمةُ الخفيفةُ التي تظهرُ على الصوت أثناءَ الحديث ومن ذلك الألحانُ واللَّحْنُ أي التصنُّعُ في الصوت وهذه الطريقةُ لا أظنُّها إلا التي كَشفَ عنها العلمُ الحديثُ[٢].

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٥٩).

(٢) هناك معجزةٌ طبيةٌ لم تُكْشَفْ أمامنا إلا في القرن الحادي والعشرين فمنذُ أكثر من مائة عام والعلماءُ يحاولون اختراعَ جهاز لكشف الكذب في كلام الإنسان، ولكنَّ هذه المحاولات تفشلُ بسبب عدم معرفتهم للآلية التي يعمل الكذبُ عليها، فقد جرَّبوا كلَّ الاختبارات على الإنسان بهدفَ الوصول إلى جهاز يكشفُ الكذبَ للاستفادة منه في التحقيق مع المجرمين.
وبعد تجاربَ مضنيةٍ وصلوا إلى أفضل ثلاث طرق لكشفَ الكذب، وهي طريقةٌ بصريةٌ وطريقةٌ سمعيةٌ، وطريقةٌ مغناطيسيةٌ وربما تعجبُ إذا علمتَ أن القرآنَ قد أشارَ بوضوحٍ إلى هذه الطرق الثلاث!
أ- الطريقةُ البصريةُ لكشف الكذب
لقد لاحظ بعضُ الباحثين تغيرات تحدُثُ في تقاسيم الوجه أثناءَ الحديث فقامَ بتجربة تضمنُ تصديرَ إنسان يتحدثُ بصدق وفي اللحظةَ التي تظهرُ ملامحٌ محددةٌ على وجههَ تختلفُ عنَ حالة الصدق، ولكنَّ تلكَ الملامحَ سريعةٌ جداً لا تدركُها العينُ البشريةُ، واستخدمَ طريقةَ التصوير السريع لإدراك هذه التغيرات، ثم قام بإبطاء الصورة فلاحظَ أن ملامحَ الوجه تتغيرُ بشكلٍ واضحٍ أثناءَ الكذب.
ب- الطريقةُ السمعيةُ لكشفَ الكذبَ
هناك باحثون اعتمدوا على صَوت الإنسان! فقد قاموا بإجراء تسجيل صوتٍ لإنسان وهو يتحدثُ بصدق، وفي اللحظة التي يكذبُ فيها كانت الترددات الصوتيةُ الصادرةُ عنه تتغيرُ، أي أن الموجاتِ الصوتيةَ التي يُسجلُها الجهازُ لها شكلان: الشكلُ الأولُ هو حالةُ الصدق، والشكلُ الثاني هوَ حالةُ الكذب، وقد كان الفرق واضحًا بينهما.
ويؤكدُ العلماءُ أن لكلٍّ واحد منا بصمةُ صوت خاصة به، ولكلٍّ واحد منا بصمةُ عين خاصة به، وسبحانَ الله، أثناءَ الكذب، فإن العينَ والجسدَ تُفْصِحُ عن صاحبها، ولكن بسببَ سرعةَ هذه التغيرات لا يَمكنُ أن ندركَهَا إلا بشكلٍ قليلٍ، وقد تخفى علينا غالبًا. أما الأجهزةُ فإنهَا تُظهرُ هذه التغيرات بمنتهى الوضوح. =

طرقُ كشفِ الكذبِ

طرقُ اكتشاف الكذبِ كثيرةٌ ومتى جمعنا أطرافَها كان حَلْمُنا سديدًا ولابُدَّ، ومن تلك الطرق ما يأتي:

١- ضعفُ الإيمانِ

لا يستحلُّ رضاعَ الكذب إلا مَن كان ضعيفَ الإيمان؛ لأنَّ قويَّ الإيمان الكذبُ منه بعيدٌ لكنَّ منهم مَن يضعفُ ويَجْبُنُ يَسْتَنْزِلُهُ الشيطانُ فيكلِّفُ الكذبَ لكنْ سَرعانَ ما ينكشفُ كذبُهُ لتكلفه ما ليس من طباعه كما قيلَ:

وأسرعَ مفعولٍ فعلتَ تغيرًا تكلفُ شيءٍ في طباعك ضدُّهُ

وما ذاك ألا لأنه ليس عنده من حيَلِ الكذَّابين ما يجعلُهُ يخفي كَذِبَهُ وبعضُ الصالحين يستحيلُ في حقِّهم الكَذِبُ لكن قد يوجدُ عندهم من التعريض(١) والتورية(٢) ما يجعلُهم يتوارون، وعلاجُ ذلك بتكرارِ الأسئلة التي توقفُهم على قَصْدِهم في قولهم وبيانِ مُرادهم من كلامهم!

= جـ- الطريقةُ المغناطيسيةُ لكشف الكذب

هناك فريقٌ من العلماء حاولَ الدخولَ إلى دماغِ الإنسان ومعرفة ما يجري أثناءَ الكذب، واستخدم من أجل ذلك جهازَ المسح المغناطيسيِّ الوظيفيِّ (TMRI) وهو جهازٌ يعملُ بالموجاتِ المغناطيسية ويستطيعُ كشفَ نشاط الدماغ.

وبعدَ العديد من التجارب وجد العلماءُ أن الإنسانَ عندما يكذبُ فإن المنطقةَ الأماميةَ من دماغه تنشطُ بشكلٍ مفاجئ وهذا ما أشارَ إليه القرآنُ في قوله تعالى: ﴿ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ﴾ [العلق: ١٦].

فقد وصف اللهُ -سبحانه وتعالى- ناصيةَ الإنسان أي مُقَدَّمَةَ رأسه بالكذب وهذا ما يراهُ العلماءُ اليومَ من خلال أجهزتهم» عن «أسرار كشف الكذب» الموجودة الشبكة (ص٢، ٨).

(١) التعريضُ يعرفُ بأنه كلامٌ له وجهان مَن صدَق وكذَب يصحُّ حملُهُ على كلٍّ واحد منهما.

(٢) التوريةُ هي إرادةُ المتكلِّم بكلامه خلافَ ظاهره كأن يقولَ في الحرب «مات إمامُكم» فيوهمُ السامعَ أنَه أحدُ القاتلين وهو يقصدُ أحدَ المتقدمين.

٢- الاضطرابُ

عندما يكذبُ الرجلُ فإن وضعَهُ طبيًا يكون مضطربًا، حيثُ يؤدي الخوفُ إلى زيادة إفراز هُرمون الأدرينالين الذي يساعدُ على زيادة ضَرْبات القلب وضخِّ الدم في الدورة الدمويَّة، حيثُ يعطي ذلك قوةً مضاعَفَةً للإنسان، مما يزيدُ حالةَ «التعرُّق» لديه، ويزدادُ جفافُ الفَم، إضافةً إلى إصابته بـ«حكَّة» بيديه باستمرار في أجزاءَ متفرقة من جسمه وذلك بسبب ازدياد الهُرمون.

قال ابنُ القيم -رحمه الله-: «الصادقُ منْ أثبت الناس وأشجعهم قلبًا والكاذبُ من أمهن الناس وأخبثهم وأكثرهم تَلونًا وأقلُّهم ثباتًا وأهلُ الفراسة يَعرفون صدقَ الصادق من ثبات قلبه وقتُ الأخبار وشجاعته ومهابته ويعرفون كذبَ الكاذب بضدِّ ذلك ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة وسُئلَ بعضُهم عن كلام سمعَهُ مَتكَلَّمَ به فقال: والله ما فهمتُ منه شيئًا إلا أني رأيتُ لكلامه صولةً ليست بصولة مُبْطِلٍ»(١).

٣- اجتنابُ ضميرِ المخاطبِ

الكاذبُ يتجنَّبُ استخدامَ ضمير المخاطب الواحد (أنا) ويستخدمُ بدلاً منه ضميرَ المخاطبِ للجماعة أو الغائب مثلَ (نحن) و(هم) أو الناسُ أو كلُّهم أو الواحدُ منهم.

٤- الانشغالُ بأمورٍ جانبيَّةٍ

قد يَشغَلُ الكاذبُ نفسَهُ بأمور جانبيَّة لا معنى لها حتى لا يضطرَّ للنظر في وَجْه المُحقِّق أو مَنْ يبادلُهُ الحديثَ.

---

(١) «أعلام الموقعين» (٧/ ٢٠٨).

٥- تكلُّفُ التَّبَسُّم

بعضُ المحترفين يتكلَّفُ التَّبَسُّمَ وتَظَلُّ الابتسامةُ المُتكلَّفَةُ لنظرةٍ طويلةٍ وتنتهي فجأةً. وابتسامتُهم مُزَيَّفةٌ تتضمَّنُ العضلاتِ حولَ الفَمِ فقط(١).

وربما يبتسمون لتثبيت انتباهك أو استرضائك لكنَّ الابتسامةَ الحقيقةَ الصادقةَ تتضمنُ تَقَلُّصَ العَضَلاتِ حولَ العينين بخلاف الابتسامة المزيَّفَة التي يُقصَدُ منها التغطيةُ على الكَذِبِ كما يقول أحدُ علماءِ النفس(٢).

٦- الجوابُ على الأسئلة غيرُ سريع

الجوابُ الصادقُ يأتي مُسرعًا من الذاكرة ومسلسلاً رزينًا بخلاف الجواب الكاذب فيتطلَّبُ مراجعةً عقليةً سريعةً للأشياء التي قد قالها الكاذبُ لكي يتجنَّبَ التعارضَ ولكي يختلق تفاصيلَ جديدةً عند الحاجة لها(٣).

٧- الارتياحُ لتغيُّرِ موضوعِ الأسئلة

متى غيَّرتَ الموضوعَ بسرعة فإن الشخصَ البريءَ يصيبُهُ التوتُّرَ لهذا التغيُّرِ المفاجئ للموضوعِ وربما حاولَ العودةَ إلى صُلْبِ الموضوعِ السابقِ بينما سيكونُ الكاذبُ مرتاحًا لهذا التغيير وسيبدو أقلَّ دفاعيةً وأكثر استرخاءً.

٨- التناقُضُ

يُرشِدُ أحدُ علماءِ النفسِ إلى كشفِ تناقُضِ الكاذبِ وذلك بما يأتي البحثُ عن

---

(١) ذهب بعضُ علماءِ النفس إلى أن الابتسامةَ الصادقةَ تتضمَّنُ تَقَلُّصَ العديدِ من العضلاتِ عِنْدَ عضلاتِ الفمِ وتتَّضِحُ تمامًا بتقلُّصِ العضلاتِ حولَ العينين.

(٢) هو د. جَلين ويلسون من معهد طَبِّ النفسِ في (لندن).

(٣) قال الدكتورُ وايزمان أحدُ أشهرِ علماءِ النفس: «بعضُ الكذابين لا يمكنهُم الهروبُ من لحظةِ التردُّدِ قبلَ الإجابة فإذا كان يفكِّرُ فوقَ الحاجَةِ فلا شَكَّ أنَّ هناك أمرًا خاطئًا.

التناقض والأخطاء التي تقعُ في الحديث لكنْ لا نَقْطَعُ أنَّ كلَّ زلَّة كذبَةٌ فقد تكونُ الزَّلَّةُ ناتجةً عن عدمِ الاهتمامِ.

- أجْرِ مقارنةً لمحادثتين مختلفين.

- إفْحَصْ التناقضات التي يقولُها الشَّخْصُ في اجتماعيه مختلفين فقد يظهرُ بعضُ التوتُّر ثم يَصْمُتُ إذا تحدَّثَ بُرْهَةً يقومُ بعدها بالإدلاء بإجابة واثقة مصحوبة بابتسامة عريضة ألا أنك حين تسألُهُ بعد فترة تكونُ إجابتُهُ ملتويةً ونبرةُ صوته مُرْتَفعَةً.

- ابحثْ عن التناقُضِ في الرسائلِ الكلاميَّة وغيرِها حينما تُرْهِفُ السمعَ إلى مُحَدِّثكَ.

ثم يؤكّدُ أنَّ تلك ما هي إلا بعضُ علامات الخداع ومجرَّد دلالات على وجوده لذا فإنَّ سيما الوَجْه يجبُ تعزيزُها بقَرائنَ مؤكِّدة من الوَجه والجَسَد!

٩- استخدامُ عباراتٍ رنانةً

يستخدمُ الكاذبُ عبارات رنانةً تُوْحي بأنَّ صولتَهُ صولةُ مُبْطِلٍ مثلَ: «كي أكونَ صادقًا» أو «حتى أقولَ الحقيقةَ» فإذا كان المحقِّقُ حادَّ الفراسة فسوفَ ينكشفُ له المُحِقُّ من المُبْطِلِ على أننا نُؤكِّدُ على تعزيزِ كلِّ قرينة بأُختها.

١٠- التَّكرارُ

الكذابُ يميلُ عادةً إلى استخدامِ نفسِ الكلمات مَرَّات متتالية وكذلك نفسَ المبرِّرات ليظهرَ أن موقفَهُ ثابتٌ طَوالَ الوقت!

١١- النسيانُ

الكاذبُ سريعُ النسيان وقد يَقَعُ فريسةَ كَذبه حينما يُعيدُ واقعَهُ بأسلوب مختلف فينهارُ كذبُهُ حينما تُوَجَّهُ له الأسئلةُ حول تناقضِ ما قاله وما يقولهُ في مناسبةٍ أخرى.

١٢- الهجومُ

الكاذبُ قد يلجأُ لمهاجمتكَ عندما تتَّهمُهُ بعدم الصِّدْق بل أحيانًا يلجأُ لاستخدام عبارات رنانة مثلَ: «ليسَ مَن حقٌ أن تسألني أنْظُرْ إلى نفسكَ أولاً ويبدأُ بتذكيركَ بما يعرفُهُ من عيوبكَ!

١٣- التَّعميمُ

الكاذبُ يستخدمُ أسلوبَ التَّعميم حينما يريدُ الهروبَ من خطأ ارتكبَهُ كأنْ يقولَ: «فُلانٌ هو -أيضًا- يفعلُ ذلك. «كُلُّنا ذوو خطأ» ومن الذي لا يخطئُ ووألخ وقد يُنشدُ قولَ الشاعر

ومَنْ ذا الذي تُرضى سجاياهُ كُلُّها ... كفى المرءَ نُبْلاً أن تُعَدَّ معايبُهُ

وقولَ الآخَر:

هُمُ الناسُ والدنيا، ولابُدَّ من قذىً ... يُلِمُّ بعينٍ أو يكدِّرُ مَشْرَبًا

ومنْ قلَّة الإنصاف أنَّكَ تَبْتَغي الـ ... مُهَذَّبَ في الدنيا، ولَسْتَ المُهَذَّبا

١٤- التَّكَلُّفُ العَصَبِيُّ

يميلُ الكذابُ إلى تكلُّف مَنْظَر الجادِّ في سيماء وَجْهه وفي نَبَرات صوته كما يختارُ كلمات جيدةً لكنه لا يَفْطَنُ إلى أنه يكشفُ نَفْسَهُ ببعض التصرفات العصبيَّة اللا إرادية، كمَسْحِ النظارة، ولَمْس الوَجْه وغَيْر ذلك من الإشارة العصبيَّة التي تَنُمُّ عن الكذب[1].

(١) أكَّدَ باحثون بريطانيون وإيطاليون من خلال دراسة الغَوْص في أعماق علامات القَلَق التي تَصْدُرُ عن الكذابَ مثل حَكِّ الأنف أو الشَّعر وغيرَ ذلك مَن الحركات اللا إراديَّة كما بدَا ذلكَ واضحًا في المتطوِّعين الَّذين شاركوا في هذه الدراسة، وكشفت الدراسةُ أن الكذابَ يلمسُ أنفَهُ أقلَّ بنسبة ٢٠٪ من الصادق.

وقال الدكتورُ سَامانثامان المتخصِّصُ في طبِّ النفس: «يتوقَّعُ الناسُ أن يكونَ الكذابُ عصبيًا ومراوغًا، ولكنْ بحثُنا أثبتَ عكسَ هذه النظريَّة».

١٥- استخدامُ كلماتٍ قليلة:

المُعتادون على الكَذِب يستخدمون أقَلَّ عدد ممكن من الكلمات ويتكلَّمون ببُطْء كما لو كان الصَّعْب عليهم إيجادُ الكلمات وهم في الحقيقة يفكِّرون فيما عساهم يقولون من أكاذيبَ ويحاولون ترجمةَ تخيُّلاتهم. وهناك -أيضًا- كذابون يَنْهَجُون العكْسَ تمامًا ليُثْبتوا أنهم صادقون لأنهم يَعرفون أنهم إذا تكلَّموا بسُرعة وتحدَّثوا كثيرًا يُربِكون المُسْتمعَ فلا يَجِدُ وقتًا لاكتشاف كذبهم.

١٦- الصوتُ العالي

حاول علماءُ النفس أن يَضَعُوا بعضَ المؤشِّرات التي تساعدُ على كَشْف الكَذِب وتَصْدُرُ عَمَّن يتحدَّثُ، منها استخدامُ الصوت العالي بَهَدف تشتيت ذِهْنِ المُسْتمع وجعله أكثرَ قناعةً. وقد يحلفُ الأيمانَ دون أن يُطْلَبَ منه وبصوت عالٍ، وتلك إشارةُ كَذِب؛ لأنَّ الصادقَ يفعلُ ذلك لثقته ببراءَة ساحته.

وما تقدَّمَ إنما هو مؤشراتٌ وليُعْلَمْ أنَّ بعضَها تَحْدُثُ بشكل عَفَويٍّ دون أن تكونَ علاماتِ كذبٍ واللبيبُ مَنْ جمعَ تلك الخيوطَ في ذهنه وخرج بعقْد مُنْتَظِم!

●●●

معرفةُ الكاذبِ من وَجْهِهِ

لا تَسألِ المرءَ عن خلائقِه ... في وَجْهِه شاهدٌ من الخَبَرِ

يؤكدُ علماءُ النفسِ أن المَرءَ يستطيعُ أن يكذبَ كما يشاءُ لكنَّ وجهَهُ لا يستطيعُ؛ لأن تعبيرات الوَجْه تتغيَّرُ بشكلٍ واضحٍ جدًا عندما يَشْرَعُ الإنسانُ في الكذب، ويتأثَّر جَرَيانُ الدَّمِ داخلَ الأوعية والشُّعَيرات الدقيقة الموجودة في الوَجْه فيَميلُ لونُ البَشَرَةِ إلى الإحمرار وتظهرُ عليه علاماتٌ تدلُّ على اضطرابه مثلَ حَكِّ الذَّقْنِ والأنف[1].

(١) كشفَ الدكتورُ الآن هيرش، من مؤسسة أبحاث الشَّمِّ والتذوُّق في شيكاغو، أن الكَذِبَ يطلقُ هرمونًا يجعلُ الأنسجةَ الموجودةَ في الأنفَ مُحْتَقَنَةً بالدَّم ومتورِّمَةً، آثارُ اكتشاف انتباهَ النِّساء، لكنَّ هذا التضخُّمُ في الأنف لا يُرى بالعين المجرَّدة، بل يسبِّبُ حكَّةً، تفضَحُ الكاذبَ نفسَهُ عندما يضطرُّ إلى حَكِّ أنفه ويُعتبرُ (بيل كلينتون) الرئيسُ السابقُ للولايات المتحدة الأميركية، صاحبَ أشهر حكَّة للأنفَ عَرفَها العالمُ، حيث قام بحَكِّ أنفه أثناءَ إدلائه بشَهادته في قضية التحرُّش الجنسيِّ التي رَفَعَتْها عليه (مونيكا لونيسكي) المتدربةُ السابقةُ في البيت الأبيض، والتي اضطرَّ (بيل كلينتون) للاعتراف بوجود علاقة معها رَغْمَ إنكاره وجودَ تلكَ العلاقة، وكان للتحليل النفسيِّ دورٌ كبيرٌ في كشفَ كذبَ وخداعِ كلينتون، وقد اعتُبِرَتْ هذه القضيةُ أشْهَرَ خيانة زوجية عرفها العالَمُ.

وهذه الظاهرةُ يُفيدُ بها خبراءُ النفس والاجتماع الزوجات وهي أنَّ أغلبَ الأزواج عندما يكذبون يبتعدون عن زوجاتهم يَتَعلَّلُون مثلاً بوضْع الصُّحون في المطبخ، أو عندما يُطفئون الأضواءَ، أو يُغطُّون رؤوسَهم، لكنَّ جهازَ المرأة الحسِّيَّ يلتقطُ ويعملُ على تحليل هذه المعلومات، كما أن قُدرَةَ عقلها على الانتقال السريع بينَ شَقَّي الدماغ يجعلُها أكثرَ قدرةً على دَمْج وفَكِّ شَفْرات المعاني اللفظيَّة والمرئيَّة، وغيرها من الإشارات؛ فالمرأةُ تستطيعُ تحديدَ الأكاذيب ولو على بُعْد أميالَ..!

ويلاحظ القارئ تعارضًا في حك الأنف مع ما ذكرناه قبل قليل ولكن ما يزيل ذلك هو الأخذ برقاب فراسة الكذب وتطبيق القواعد السابقة والآتية فأيهما أقرب أخذنا بها.

معرفةُ الكاذبِ من حركاتِ يديْهِ

وَخَبِيُّ الفؤادِ يعلمُهُ، العا ... قلُ قبلَ السَّماعِ بالإيماءِ

وظنونُ الذكيِّ أنْفَذُ في الحقِّ ... سهامًا من رُؤيَةَ الأغنياءِ

يرى باحثون أن حركةَ اليدين أثناءَ الحديث تُضيفُ صدقًا للكلامِ أما الكذابُ فإنه نادرًا ما يُحَرِّكُ يديه أثناءَ الحديث وغالبًا ما يضَعُها داخلَ جَيبه حتى لا يُلاحظَ اضطرابَهُ أحَدٌ، ويُعلِّلون ذلك بأنها حالةٌ من حالات الانطواء النفسيِّ التي تعبِّرُ بها اليدان عن رفضهما تجاهَ ما يقولُهُ اللسانُ فتختفي وتنطوي اليدان داخلَ الجيوبِ كحلٍّ للهربِ من عذابِ الضَّمير.

يقولُ عالم النَفس (ريتشارد وايزمان): إنَّ الاستخدامَ الزائدُ لحركة اليدين وغَيْرَ الضروريِّ يكشفُ حالةَ القلق وربما عَدَمَ الأمانة، وإذا كان يَلْمسُ وجهَهُ دائمًا أثناءَ الكلامِ فهو يحاولُ إخفاءَ شيءٍ ما، بينما يرى الدكتورُ (سامانثامان) المتخصِّصُ في طبِّ النفسِ خلافَ ذلك إذ يقولُ: يتوقَّعُ الناسُ أن يكونَ الكذابُ عصبيًا ومراوغًا، ولكن بحثنا أثبت عكسَ هذه النظريَّة.

فالكذَّابُ يكشفُ نفسَهُ بوسائلَ أخرى، فعند مراقبة حركات اليدين لدى المتطوِّعين، لاحظَ الباحثون أنَّ الكذابين يَلمسُون قلوبَهم ويَبْسُطون أيديهَم أكْثَرَ ويحرِّكون أيديَهم في الهواءِ كما السياسيون يخاطبون حَشْدًا جماهيريًا، كما ذكرت «جريدةُ الرياضِ».

●●●

معرفةُ الكاذبِ من عينِه

ألا إنَّ عينَ المرءِ عُنوانُ قلبِـــه تخبـرُ عن أسـراره شـاءَ أم أبى

العين لا تكذبُ ولا تنافقُ وإن كان تَعْصي كأيِّ جارحة، ولكن في عصيانها تقولُ بلسان حالها: أنا أعصي «لأنها تلتفتُ» والعينُ تزني وزناها النظرُ[١] وهي مع ذلك صادقةٌ قال تعالى: ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب: ١٩].

فهي تكشفُ حقيقةَ نفسها، وحقيقةَ صاحبها فعَدمُ استقرار العين واضطرابُها يُظْهرُ كَذبَ صاحبَها وتلوُّنُهُ وعَدَمَ صدقه[٢] لذا نجدُ الصالحين لصدْقهم وصفهم اللهُ -جلَّ وعلا- بقوله: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٩][٣].

فلذا كانت العينُ فضَّاحةً لما في القلوب فحينَ يكذبُ الرَّجُلُ أو يُدْلي بمعلومات غَيْر صحيحة فإنَّ عينَه كما يقولُ أحدُ المتخصِّصين[٤] تُعَبِّرُ بصدق عما يَجيْشُ في أعماقِ صاحبِها لذلك فهي مؤشِّرٌ واضحٌ عن حالة الصدق أو الكذبِ.

---

(١) روى البخاريُّ (٥٨٨٩)، ومسلمٌ (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة -رضيَ اللهُ عنهُ- عن النبيِّ -ﷺ- قال: كُتبَ على ابن آدمَ نصيبُهُ من الزِّنا فهو مُدْرِكٌ ذلك لا مَحَالةَ العينان زناهما النظرُ والأذنان زناهما الاستماعُ واللسانُ زناه الكلامُ واليَدُ زناها البَطْشُ والرِّجْلُ زناها الخُطَى والقلبُ يهوى ويتمنَّى ويُصَدقُ ذلك الفَرْجُ أو يُكَذِّبُهُ».

(٢) لقد ثبتَ من واقع الأبحاث والدراسات العلمية والنفسية على شخصية الإنسان المُجْرِم كما يقولُ محمد عارف: أنَ تغيراً فسيولوجيًا يعتريه قبلَ وأثناءَ وبعدَ ارتكابه للجريمة منها ما نحنُ بصَدَده في لغة العيون وما تكشفُهُ من حقائقَ يحاولُ المجرمُ أن يُخْفيها... ومع براعةَ كثير منهم في تمثيلَ دور الحَمَل الوديع والمتَّهَم البريء إلاَّ أن لغةَ العيون كما يقولون «فَضَّاحَةٌ». «لغة العيون» (٣٣) لمحمدَ عزت محمد عارف.

(٣) «لغة العيون» لمحمد عزت (١٦).

(٤) هو الدكتورُ فكري عبد العزيز، استشاريُّ الصحَّة النفسيَّة بجامعة عين شَمْس.

ولقد تَوصَّل علماءُ النفس والاجتماع إلى طريقة تكشفُ الصادقَ من عدمه من خلال «لغة العيون» ويُسمَّى هذا العلمُ بنظام (ترميز حركات الوجه والجسد) واستُخدمَ هذا العلمُ في التحقيقات وأقسام الشرطة ثم أصبح يُستخدمُ في العمارة والعلاقات الزوجية والأسرية حتَّى بين المعارف والأصدقاء إذ ليس لهم وازعٌ من دين أو خُلُق يمنعُهم من الكذب! «ولغةُ العيون» أسهلُ وأهمُّ قسْمٍ في علم نظام ترميز حركات الوَجْه وقبلَ أن أبدأ الشَّرْحَ لهذا النظام لنتَّفقَ على الآتي:

أنت المحقِّقُ ومَنْ أمامَك هو المتَّهمُ وعندما أذكرُ جهةَ اليمين فأنا إنما أقصدُ جهةَ يمينك أنت (المحقق) وليس جهةَ يمين المتَّهَم الذي يقابلُك.

• دلالةُ حركاتِ العيون

١- النظرةُ إلى أعلى اليَسار

تعني أن المتَّهمَ يصنعُ صورةً خياليةً

فإذا كنْتَ قد سألتَهُ: أين كان ليلةَ أمْسِ، ونظرَ إلى أعلى اليَسار فهذا يعني أنَّه يكذبُ[1].

للاختبار اطلبْ من جليسك أن يتخيَّلَ المنزلَ الذي يتمنَّاهُ.

٢- النظرةُ إلى أعلى اليمين

تعني أن المتَّهَمَ يحاولُ أن يتذكَّرَ شيئًا قد حدثَ بالفعْل.

فإذا كان السؤالُ كالسؤال السابق ونظر إلى أعلى اليمين فذلك يعني أنه صادقٌ.

(١) قال الدكتورُ فكري عبد العزيز: الجانبُ الأيسَرُ من المُخِّ هو الذي يتعاملُ مع الحقائق وهو الذي يتحكَّمُ في الجانب الأيمن من الجَسَد، والعكسُ صحيحٌ، حيثُ تتحركُ العينُ ناحيةَ اليَسار كُلَّما كذبَ الإنسانُ؛ لأن الجانبَ الأيمنَ من المخِّ يتعاملُ مع الأشياء الخياليَّة وغير الحقيقية، ويتحكَّمُ في الجانب الأيسر من الجَسَد.

للاختبارِ اطلبْ من أحَدِهمْ أن يقولَ لك ماذا أكلَ ليلةَ أمْسِ.

٣- النظرةُ إلى اليَسارِ (في الوسطِ)

وهذه النظرةُ تعني أن المتَّهمَ يتخيلُ الأصواتَ أو يحاولُ أن يصطنعَ صوتًا أو يَزِنَ بيتًا من الشِّعرِ على القافيَّةِ.

فإذا كان السؤالُ: «هل كان صوتُ الشخير عاليًا ليلةَ أمْسِ؟ ونظرَ إلى جهةِ اليسارِ (في الوسطِ).

فذلك يعني أن المتهمَ يكذبُ في إجابته.

للاختبارِ أطلبْ من جليسك أن يتخيَّل أنَّهُ يُلقِي قصيدةً.

٤- النظرةُ إلى اليمينِ (في الوسطِ)

هذه النظرةُ تعني أن المتهم يحاولُ أن يتذكَّرَ صوتًا.

فلو نظرَ المتَّهَمُ في السؤالِ السابقِ إلى منتصَفِ اليمينِ فستكونُ إجابتُهُ القادمةُ صادقةً.

للاختبارِ أطلبْ من زميلكَ أن يتذكَّرَ صوتَ والدته.

٥- النَّظَرُ إلى أسفلِ اليسارِ

تعني هذه النظرةُ أن المتَّهمَ يحاولُ أن يتَّخذَ قرارًا ويحاورَ نفسَهُ وربما لن تستطيعَ أن تُنْبِتَ بهذه الطريقة أن المتهمَ يكذبُ أو يقولُ الصدقَ وقد ينظُرُ في هذه الجهة عندما يحاورُ نفسَهُ قبل الإجابة: هل يكذبُ أم لا؛ أي يقولُ لنفسه: هل أقولُ الكذبَ الآن فكأنه يفكرُ بمُستوى جليسه من السَّذاجة أو الذكاء قبلَ اتخاذ القرار!

للاختبارِ أطلبْ من جليسكَ أن يتَّخذَ قرارًا بالسَّفرِ غدًا صباحًا أو يتَّخذَ قرارًا بالسَّفَرِ بعدَ أسبوعٍ.

٦- النظرُ إلى أسفلِ اليمين

عندما ينظرُ المَتهَمُ إلى أسفلِ اليمين فذلك يعني أنه يحاولُ أن يتذكَّرَ إحساسًا معينًا مثلَ رائحة أو طَعْمٍ فلو قال لك المتهمُ إنَّهُ كان في المطعَمِ ليلةَ أمْسِ وسألتَهُ عن طعمِ (الحَسَاء) أو (الرُّزّ) ولَم ينظرْ إلى أسفلِ اليمَينِ فذلك يعني أنه يكذبُ.

للاختبارِ اطلبْ رأيَ جليسك في عِطْرِكَ الذي استخدمتَهُ البارحةَ.

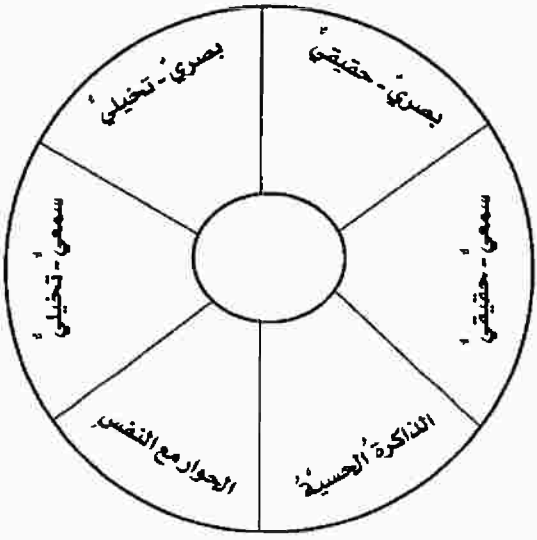

الجهةُ اليُمنى دائمًا تدلُّ على الصدقِ والعكسُ في الجهةِ اليُسرى المنطقةُ العليا للذاكرةِ البصريَّةِ والوسطُ للسَّمعيَّةِ

• قواعدُ مهمةٌ

١- لغةُ العيونِ لا يُقْطَعُ بها في كَشْفِ الكذبِ حتى تُضَمَّ إليها بقيَّةُ العلاماتِ وطولُ التجاربِ.

٢- الجهاتُ المذكورةُ أعلاهُ تطبَّقُ على الشَّخْصِ الأيمنِ أما الشَّخْصُ الأيسَرُ (أعسرٌ أو أشولٌ) الذي يستخدمُ يَدَهُ اليُسرى في الكتابةِ فكُلُّ شيءٍ سيكونُ العكسَ (اليمينُ

يسارٌ واليَسارُ يمينٌ) أي الجهةُ اليُمنى ستعني أن الشَّخْصَ الأعسرَ يكذبُ ويَختلقُ، واليُسرى تعني أنَّهُ يتذكَّرُ شيئًا حَدَثَ بالفعلِ.

٣- عندما يُثَبِّتُ المتَّهمُ عينَهُ في المُنْتَصَف أو يجتنِّبُ النظرَ لك[١] بشكلٍ مباشرٍ فذلك -دائمًا- يميلُ إلى أنَّ المتَّهَمَ يختلقُ أمرًا ما.

وختامًا:

وإذا أعْـوَزَ اللسـانَ بيـانٌ ... فـعلى العين بَسْطُ تلكَ المعـاني

فـتـراها تجـولُ بين جُـفـونٍ ... تتـمني لو أنهـا شـفـتـانِ

●●●

(١) قال الدكتورُ فكري عبد العزيز -أستاذُ علم النَّفس «الكذابُ يتحاشَى -دائمًا النَّظَرَ إلى عيني الطرف المستقبل، فتراهُ تارةً يُغلقُ عينيه أثناء الحديث، وتارةً أخرى ينظرُ إلى أسفلَ خوفًا من أن يفتَضِحَ أمرُهُ، إذا كان زوجُك حاذقًا لدرجة قدرته على خداعك أثناءَ النَّظَر إلى عينيك في هذه الحالة يجبُ أن تكوني حذرةً أكثرَ عند التعاملِ معهُ؛ لأنه سينظرُ إلى عينيك بكُلِّ براءة. يُطلَقُ على هذا النوع من الرجال لقبُ: (كذابٌ وعينُهُ جامدةٌ) فهو يحاولُ أن يؤكِّدَ صدْقَ حديثه وإقناعَ زوجته بشتَّى الطرق لمنع زوجته حتى من مُجَرَّد الشَّكِّ في صدق كلامه».

أقولُ -وبكلِّ صدقَ- أن الزوجَةَ الذكيَّةَ يفوقُ ذكاؤها التحقيقَ الجنائيَّ لكن من الحكمة التغافُلُ عن بعض الأمور حفاظًا على استقرار الحياة الزوجيَّة كالتجسُّس أو الشَّكُّ أو ملاحقةَ الزوجِ الذي يكونُ في الغالب حولَ أمور وهميةَ نتيجةَ غَيْرَةَ غَيْرِ معتدلة أو وساوسَ لكن متى لَمَسَتْ موضعَ الخيانة بعينها وأُذُنَها فتصيرُ في منطق العقل والقوة.

وما سوى ذلك عليها التغافلُ عنهُ حفاظًا على استقرار الحياة الزوجيَّة فالحياةُ قصيرةٌ فلا تُقَصِّريها بالهَمِّ والأكدار.

الكذبُ عند النِّساءِ

ما ينطبقُ على الرجال في كشف الكذب ينطبقُ على النساء إلا أنَّهُ يَحْسُنُ أن يُضافَ بعضُ النقاط في حَقِّ النساء.

١- الكاذبةُ تتجنبُ النظرَ إلى عيني محدِّثها لذلك تَجدُها تنظُرُ في أيِّ كان دون أيِّ هدف أثناءَ حديثها، وإذا ما قُمْتَ بتدقيق النظر تَجِدْها تَنْظُرُ إلى الباب أو الطريق لكي تذهبَ.

٢- الكاذبةُ إذا جلسْتَ للتحقيق معها تضعُ رجليها متقاطعتين أو نَفْسَ الوضعيَّة بالنسبة ليَدَيها؛ لأن ذلك يُعَبِّرُ عن اتخاذها لموقف دفاعيٍّ.

٣- الكاذبةُ تضعُ يَدَها على وجهها وحولَ فمها أثناءَ الكذب، لأن عقلَها الباطنَ يُوَجِّهُها إلى تغطية كذْبَتها.

٤- الكاذبةُ تتكلَّمُ بسرعة وذلك لكي تُخَفِّفَ من الضَّغْط الذي تُعانيه أثناءَ تلفيق الكذب.

٥- إذا ما سألتَ الكاذبةَ بعض الأسئلة فإنها تقومُ ببعض الحركات اللا إرادية بأنْ تُحَرِّكَ رأسَها بالإيجاب إذا كان الجوابُ الحقيقيُّ تحاولُ إخفاءَهُ، ويَحْصُلُ - أيضًا- العكسُ. وقد تحرِّكُ رأسَها بالإيجاب بشكلٍ خفيف وكذلك النفيُّ.

٦- الكاذبةُ تحاولُ أنْ تُبالغَ في إظهار صدقها بأن تكُونَ مَرِحَةً بشكْلٍ زائد لكي تقومَ بتَضْليل محدِّثها وكَسْب ثقته.

وفي نفس الوقت تستخدمُ عبارات تدلُّ على تَدَيُّن لكي تجعلَ كذبَها غيرَ مشكوك فيه مثلَ: «الحمدُ لله، ما شاءَ الله- ادعُ لنا، اللهُ يُبْقيكَ لنا. ونحوَ ذلك.

٧- الكاذبةُ يحصلُ لها شيءٌ من التَّلَعْثُمِ -أحيانًا- وقد تَقُوْمُ بإعادةِ بعضِ الجُمَلِ دونَ أيِّ داعٍ؛ لأن ذهنَها مشغولٌ في تلفيقِ الكذبِ.

٨- اجعلها تعيدُ ما قالتْهُ مرةً ثانيةً بعد فترةٍ، سوفَ تلاحظُ أن قصتَّها تغيرتْ منها بعضُ التفاصيلِ الصغيرةِ.

ولتعلمْ أن طُرُقَ كشفِ الكذبِ سواء عند الرجال أو النساء متعددةٌ، ولك أن تحدِّدَ بنفسِك كم من علامةٍ قد ظَهَرَتْ لكي تقطعَ الشكَّ باليقينِ.

●●●

فراسةُ الألوانِ

ذهبَ علماءُ النفسِ إلى أن اختيارَ الألوانِ يعبِّرُ عن شخصيَّةِ الإنسانِ والمقصودُ هنا اللونُ المُفَضَّلُ بشكلٍ عامٍ(١).

(١) تأثيرُ الألوانِ على النفسِ البشريةِ باتَ علمًا ودراسةً لوجودِ الرابطِ الكبيرِ بينهما فالواضحُ أنَّ لكلِّ لونٍ من الألوانِ المتوافرةِ من حولنا ارتباطًا نفسيًا وتأثيرًا (لا إراديًا) يدخلُ باللاشعورِ الداخليِّ وقد علمَ هذه الناحيةَ أطباءُ علمِ النفسِ لذلك أصبحت جزءًا من علاجهم لمرضاهم.
وأكثرُ من ذلك تمَّ استعمالُها في عياداتهم الخاصة كمزيجٍ متداخلٍ ضمنَ لوحاتٍ فنيةٍ لتُوضَعَ كديكورٍ في العياداتِ لمعرفةِ طباعِ هذا المريضِ من الوَهْلَةِ الأولى.
ومع أنها مجموعةٌ كبيرةٌ ومتعددةٌ ومشتقَّةٌ من بعضِها إلا أنني لن أتناولَ هنا سوى بعضِ الألوانِ الأساسيةِ والمستعملةِ بشكلٍ مستمرٍّ في حياتنا.
الأزرقُ: هذا اللونُ هو العلاجُ الأنجحُ بين الألوانِ يخفِّفُ الألمَ وهو مضادٌّ للالتهابِ ومسكِّنٌ ومنشِّطٌ.
وهذا اللونُ يُولِّدُ مُناخًا من السكينةِ والانفتاحِ وكذلك يقضي على التوتُّرِ وارتفاعِ ضغطِ الدَّمِ ويشجِّعُ عمليةَ الزَّفيرِ.
لذلك يُنصَحُ باللجوءِ إلى اللونِ الأزرقِ لمن يعاني من الصداعِ وأوجاعِ الرأسِ والربوِ وهو فعالٌ لتهدئةِ الأطفالِ زائدي النشاطِ.
الأحمرُ: أكثرُ الألوانِ قوةً يهيِّئُ الجسمَ للحركةِ فيعزِّزُ عمليةَ الشهيقِ ويؤدي إلى ارتفاعِ ضغطِ الدَّمِ يقولُ ابنُ سيناءَ «ينشِّطُ اللونُ الأحمرُ الدورةَ الدَّمويةَ ولهذا يجبُ ألَّا ينظرَ الشخصُ المصابُ بنَزْفٍ دموي إلى أيِّ غرضٍ لونُهُ أحمرُ والأفضلُ أن ينظرَ إلى الأزرقِ ذي التأثيرِ المسكِّنِ الذي يخفِّفُ من تدفُّقِ الدَّمِ.
البنفسجيُّ: إنَّهُ تزاوجُ طاقةِ الأزرقِ الاسترخائيةِ وطاقةِ الأحمرِ التحفيزيةِ. إنه لونُ التوازنِ والثباتِ فهو يرتقي بالإنسانِ إلى مرتبةِ الزُّهْدِ والروحانياتِ.
وهو يحفِّزُ الغُدَّةَ الصنوبريةَ والتي تنتجُ مادةً كيماويةً في المخِّ تُضفي الهدوءَ وترفعُ الحالةَ المعنويةَ.
البرتقاليُّ: مضادٌّ للاكتئابِ وهو لونُ الفرحِ يحفِّزُ الإنسانَ على النظرِ بإيجابيةٍ إلى الحياةِ إنهُ رمزُ الدفءِ في الأحاسيسِ والنشاطِ ويفيدُ هذا اللونُ الجهازَ الأيضيَّ ويحسِّنُ عمليةَ الهضمِ كما يجدِّدُ الشبابَ والحيويةَ رغمَ أنه يؤدِّي إلى ارتفاعِ ضغطِ الدَّمِ.

وكانت الدراسةُ المكثَّفةُ تركِّزُ على أكثرِ لونٍ يحبُّهُ الإنسانُ، وأقلِّ لونٍ يحبُّهُ وفيما يأتي ذكرُ ما خَلَصَ إليه العلمُ.

أكثرُ لونٍ تحبُّهُ:

١- اللونُ المشمشيُّ:

مُحبُّ هذا اللون على خيرٍ وطيبةٍ اجتماعيٌّ بطبعه يساعدُ الآخرين ويحبُّ العدلَ وعلى درجةٍ من التفاؤل.

٢- اللونُ الرماديُّ

يدلُّ على شخصيَّةٍ مُسالمةٍ تَجْهَدُ بسرعةٍ وتَحسُّ بثقلِ العملِ بسهولةٍ ينظرُ إليه الآخرون على أنه غيرُ مُلتزمٍ.

= الأصفرُ: رمزُ الفكْرِ والذكاء والفطْنة والمقدرة على التَّصوُّرِ ويفادُ منه حالاتُ الخمولِ العقليِّ والتركيزِ الضعيفِ وذلك لشَحْنِ الوَعْيِ والتفكيرِ. ويمكنُ الاستعانةُ به لتقويةِ المقدرةِ على التصوُّرِ والتخيُّلِ يُنشِّطُ هذا اللونُ الجهازَ العصبيَّ ويساهمُ في علاجِ داءِ المفاصلِ عن طريقِ إزالةِ السمومِ من الجسمِ ويؤثرُ في الطِّحالِ والمعدَةِ.

الأخضرُ: اللونُ الناعمُ المنشِّطُ الوَدودُ يساهمُ في إضْفاءِ جوٍّ من السكينةِ والتوازنِ والتكيُّفِ ويفيدُ في علاجِ التردُّدِ والقَلَقِ وعدمِ الاستقرارِ النفسيِّ وذلك بتنميةِ الانسجامِ مع الذاتِ. وهو محفِّزٌ لجهازِ المناعةِ مع أنه قد يؤدي في بعضِ الأحيانِ إلى خَفَقانٍ سريعٍ في نبضاتِ القلبِ وهو يؤثرُ في الكبدِ والمرارةِ.

الفيروزيُّ: يفيدُ هذا اللونُ في علاجِ الأكزيما.

الأحمرُ القاني: يفيدُ في حالاتِ الوَهَنِ الجسميِّ والكآبةِ وحالاتِ الملَلِ ولاستعادةِ التوازنِ في الجسمِ خاصةً بعد مرضٍ أو انتكاسةٍ مَرَضيَّةٍ.

النيليُّ: صفاتُهُ تساعدُ على اكتسابِ شعورِ الاستقرارِ واحترامِ الذاتِ.

البنيُّ: لونُ الالتزامِ والتضحيةِ والاستشهادِ.

الرماديُّ: مضادٌّ للبنِّي وعدوٌّ له لأنه يعزِّزُ عدمَ الالتزامِ ويوسوسُ بالمراوغةِ والرَّفْضِ والتهرُّبِ من المسئولياتِ.

الأسودُ: لونُ نُكرانِ الذاتِ يبتلعُ الضوءَ ويمتصُّ كاملَ طاقتِه.

الأبيضُ: لونُ النَّقاءِ والطهارةِ. أما الأعضاءُ ذاتُ العلاقةِ به فهي الرئتانِ والمعدَةُ الغليظَةُ.

٣- اللونُ الأخضرُ

يدلُّ على شخصيةٍ طيِّبَةٍ وعلى خيرٍ وتحبُّ الخيرَ للآخرين وصاحبُها جادٌّ في بناءِ ذاته إلى ميولٍ علمية.

٤- اللونُ الذهبيُّ

يدلُّ على شخصيةٍ مثاليةٍ تؤمنُ بالنجاحِ إلى أخلاقٍ عاليةٍ. وقِيَمٍ رفيعةٍ.

٥- اللونُ البرتقاليُّ:

يجلُّ على شخصيةٍ محبةٍ للعملِ والنشاطِ مع قدرةٍ عاليةٍ على التنظيمِ وأحيانًا تَشْعُرُ بالضجرِ وقلَّةِ الصَّبْرِ.

٦- اللونُ الأبيضُ:

يدلُّ على شخصيةٍ منفردةٍ وتحَسُّ بالوَحدةِ أحيانًا كما يَقالُّ عندها الشعورُ بالثقةِ بالنفسِ يراها الآخرونَ رمزًا للأنانيَّةِ بعضَ الشَّيءِ.

٧- اللونُ الأزرقُ المُخَفَّرُ

يدلُّ على شخصيَّةٍ مُخْلِصَةٍ جدًا مُتَفائلةٍ مُبدعَةٍ مثاليةٍ.

٨- اللونُ الزُّهْرِيُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ مُحبَّةٍ وعاطفيَّةٍ تتعاطفُ مع الناسِ وتَحُسُّ به لامِهم مع مَسْحَةٍ من حنانٍ ورقَّةٍ.

٩- اللونُ القُرمُزِيُّ

يدلُّ على شخصيةٍ حسَّاسَةٍ إلى مَسْحَةٍ من عاطفةٍ قويَّةٍ تُحِبُّ المرَحَ وإدخالَ السُّرورِ على الآخرين.

١٠- اللونُ البُنِّيُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ صريحةٍ وواقعيةٍ مع قدرةٍ على مُساعدةِ الآخرين تعيشُ في بيئةٍ متَّزنةٍ وآمنةٍ مع ثِقَةٍ في النَّفسِ وفي الآخرين.

١١- اللونُ الفُستُقيُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ متواضعةٍ ونظرةٍ عميقةٍ تحلُّ المشاكلَ بطريقةٍ مُحْكَمَةٍ يراها الآخرون بأنها تتميَّزُ بالطيبةِ.

١٢- اللونُ الكُحْليُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ ذكيةٍ يراها الآخرون أنها جديرةٌ بالثقةِ وتَحَمُّلِ المسئوليةِ كما يُحِبُّ أن تكونَ في موقعِ تَحَكُّمٍ مع استقلاليةٍ.

١٣- اللونُ الأخضرُ الفاتحُ:

يَدلُّ على شخصيةٍ مبدعةٍ ومُغامِرَةٍ مع تَقَلُّبٍ والتعاملِ مع المشاكلِ بعقلانيةٍ ومرونةٍ.

١٤- اللونُ الفِضِّيُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ نَبيلَةٍ وأهْلٍ للثِّقةِ ورمانسيَّةٍ تُنْزِلُ الناسَ مَنازلَهم.

١٥- اللونُ الأحمرُ

يدلُّ على شخصيةٍ قويةٍ طموحةٍ منافسةٍ نشيطةٍ يرى الآخرون فيها حُبَّها لغَيْرِ المألوفِ.

١٦- اللونُ الأصفَرُ

يدلُّ على شخصيةٍ يَهُمُّها الناسُ ذكيَّةٍ ومُتَحدِّثةٍ تُحِبُّ الاتصالَ مع الآخرين واجتماعيةٍ جداً.

١٧- اللونُ البَنَفسَجيُّ:

يدلُّ على شخصية حساسة روحانية وبديهية تُقَدِّرُ الآخرين وتنزلُ الناسَ منازلَهم وبالجُمْلَة فهي شخصيةٌ قانونيةٌ.

١٨- اللونُ اللَّيْلَكِيُّ

يدلُّ على شخصية حساسة ومحافظة تشجِّعُ الآخرين وتُنْزِلُهم منازلَهم إلى ثقة بالنفس بعيدة الغَوْر وقدرة في التعامل مع المشاكل.

١٩- اللَّونُ الأسودُ

يدلُّ على شخصية قوية الإرادة مُنْضَبِطَة ونظاميَّة ومستقلَّة إلى اعتزاز برأيها غالبًا.

٢٠- اللونُ الأزرقُ:

يدلُّ على شخصية خَلوقة قويَّة الملاحظة ذات خيال خصيب وعملية وناجحة إلى إبداع فَريد!

أقلُّ لونٍ تحبُّه:

١- اللونُ المشمشيُّ:

يدلُّ على شخصية تَخْجَلُ من عدمِ التنظيمِ في حياتها.

٢- اللونُ الرماديُّ

يدلُّ على شخصية تخافُ الفَشَلَ وعَدَمَ الرِّضا عن النَّفْسِ.

٣- اللونُ الأخضرُ

يدلُّ على شخصية مُمِلَّة لعَدَمِ وجودِ حافزٍ ذاتيٍّ.

٤- اللونُ الذهبيُّ:

يدلُّ على شخصية تَحُسُّ بفَقْدِ النجاحِ أو المردودِ الماليِّ.

٥- اللونُ البرتقاليُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ مشوَّشةٍ وغَضُوبَةٍ.

٦- اللونُ الأبيضُ

يدلُّ على شخصيةٍ تَحُسُّ بالوَحدَةِ والأنفصال.

٧- اللونُ الأزرقُ المُخْضرُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ تَحُسُّ بإجهادٍ عاطفيٍّ لفَقْدِ الأمَلِ في نفسِها والآخرين.

٨- اللونُ الزُّهْريُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ اتكاليَّةٍ تعتمدُ على الآخرين.

٩- اللونُ القُرمُزِيُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ تَحُسُّ بأنَّها ضحيَّةُ الآخرين.

١٠- اللونُ البُنِّيُّ:

يدلُّ على شخصيَّةٍ يَسْهُلُ عليها أن تَقَعَ فريسَةَ التفكيرِ والحَيْرَةِ.

١١- اللونُ الفُستُقِيُّ

يدلُّ على شخصيةٍ تَحُسُّ بعدمِ السعادةِ لفُقْدانِ المُحرِّكِ العاطفيِّ.

١٢- اللون الكُحْليُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ مُجْهَدَةٍ لقلَّةِ الراحَةِ.

١٣- اللونُ الأخضرُ الفاتحُ:

يدلُّ على شخصيةٍ من الصَّعْبِ عليها أن تعبِّرَ عن نَفْسِها.

١٤- اللونُ الفضيُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ تَحُسُّ بالانكسارِ لانعدامِ الثِّقَةِ.

١٥- اللونُ الأحمرُ

يدلُّ على شخصيةٍ يُسَيطرُ عليها مَزَاجُها وتَمُرُّ عليها لحظاتٌ تَنْفَجِرُ فيهامشاعرُها.

١٦- اللون الأصفر:

يدلُّ على شخصيةٍ لا تُحِبُّ النَّقْدَ مهما كان مَصْدرُهُ.

١٧- اللونُ البَنَفْسَجيُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ تَحُسُّ بأنَّ الآخرين يَفْرِضُون عليها أفكارَهم.

١٨- اللون اللَّيلكيُّ:

يدلُّ على شخصيةٍ تَحُسُّ بأنَّ الآخرين يكْتبُون مشاعرَها بل لا تَهُمُّهم إطلاقًا.

١٩- اللونُ الأسودُ:

يدلُّ على شخصيةٍ تَحُسُّ بإحباطٍ سريعًا بسببِ عدمِ التنظيمِ لحياتِها.

٢٠- اللونُ الأزْرقُ:

يدلُّ على شخصيةٍ تحسُّ بإجهادٍ ذهنيٍّ لقلَّةِ الراحةِ.

●●●

الفِراسةُ في القضاءِ

استخراجُ الحقوقِ بالفِراسةِ

إذا كانت الدلائلُ والقرائنُ ظاهرةً، والشهادةُ ثابتةً ومتَّفقةً وجَبَ الأخذُ بها وعدمُ الرُّكونِ إلى الفِراسةِ بإصدارِ الحُكْمِ!

ومتى كانت القرائنُ غَيْرَ كافيةٍ، والشهادةُ متعارضةً بحيثُ لا يُطْمَأَنُّ إليها فقد أصبحت الفِراسةُ نوراً يُسْتضاءُ به لمعرفةِ المُحقِّ من المُبْطِلِ.

وهذا أمرٌ مُجْمَعٌ على جوازِه بل وضَرورتِه كالتَّفريقِ عند سماعِ شهادةِ الشُّهودِ ومحاولةِ استخراجِ الحقِّ من كلامِهم.

قال ابنُ القيِّم -رحمه الله-: «ولم يزلْ حُذَّاقُ الحُكَّامِ والولاةِ يستخرجون الحقوقَ بالفراسةِ والأماراتِ فإذا ظَهَرَتْ لم يُقَدِّموا عليها شهادةً تخالفُها ولا إقراراً وقد صَرَّحَ الفقهاءُ كُلُّهم بأنَّ الحاكمَ إذا أرتابَ بالشهودِ فرَّقَهم وسألَهم كيف تَحَمَّلُوا الشهادةَ وأين تَحَمَّلوها وذلك واجبٌ عليه فمتى عَدَلَ عنه أثمَ وجارَ في الحُكْمِ»(١).

وقال: «هذه مسألةٌ كبيرةٌ عظيمةُ النَّفْعِ جليلةُ القَدْرِ إن أهملها القاضي أو الحاكمُ أضاعَ حقًا كثراً وأقامَ باطلاً كثيراً، وإن توسَّعَ فيها وجعلَ مُعَوَّلَهُ عليها دون الأوضاعِ الشرعيَّةِ وَقَعَ في أنواعِ الظُّلْمِ والفسادِ»(٢) وسُئِلَ أبو الوفاءِ ابنُ عقيلٍ عن هذه المسألةِ، فقال: ليس ذلك حكماً بالفراسةِ بل هو حكمُ الأماراتِ، وإذا تأملتم الشَّرعَ وجدتموه يُجَوِّزُ التعويلَ على ذلك وقد ذهبَ مالكٌ -رحمهُ اللهُ- إلى التوصُّلِ

(١) «الطرق الحكمية» لابن القيم (٢٨).
(٢) المرجع السابق (٤).

بالإقرار بما يراهُ الحاكمُ وذلك مستَنِدٌ إلى قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [يوسف: ٢٦](١).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ -ﷺ- قال: «**بينما أمْرأتان معهما ابنان لهما جاءَ الذئبُ فأخذَ أحَدَ الابنين فتحاكما إلى داودَ فقضى به للكبرى فخرجتا فدعاهما سليمانُ فقال: هاتوا السكينَ أشُقُّهُ بينهما فقالت الصُّغرى رَحِمَكَ الله- هو ابنها لا تشقَّهُ فقضى بِهِ للصُّغرى**»(٢).

وهذا من فراسته -عليه الصلاةُ والسلامُ- عرفَ أن الرحمةَ ما جاءت إلا من الأُمِّ الحقيقيَّة، فأيُّ شيءٍ أحسنُ من اعتبارِ هذه القرينة الظاهرة؟!

فاستدلَّ برحمة الصُّغرى ورضا الكُبرى على ذلك وأنَّ الصغرى رفضت ذَبْحَ صغيرها بسبب ما قامَ بقلبها من الرحمة والشَّفَقَة التي وضعَها اللهُ في قلب الأمِّ، وقَوِيَتْ هذه القرينةُ عنده حتى قَدَّمها على إقرارها، وحكمَ بِهِ لها مع قَوْلها هو ابنُها.

السلفُ يَستخرجون الحقوقَ بالفِراسة

لا يزالُ الناسُ ولا سيَّما الحكامُ والولاةُ والقضاةُ قديمًا وحديثًا يستخرجون الحقوقَ بالفراسة فمنْ ذلك:

١- عُمَرُ بنُ الخطَّابِ -رضيَ اللهُ عنه-:

ومن هذا القبيلِ ما حصلَ من عُمَرَ بن الخطاب -رضيَ اللهُ عنهُ- قال ابنُ القيِّم -رحمه الله-: «ولله فراسةٌ من إمام المتفرِّسين وشيخ المتوسِّمين: عُمَرَ بن الخطاب -رضي اللهُ عنهُ- الذي لم تُخْطِئْ لَهُ فراسةٌ، وكان يحكمُ بين الأُمَّة بالفراسة المُؤَيَّدَة

(١) المرجع السابق (٤).
(٢) (صحيح) أخرجَهُ أحمدُ (٢/ ٣٢٢).

بالوحي قال الليثُ بنُ سعد: أُتي عمرُ بنُ الخطاب يومًا بفتىً أمْردَ وقد وُجدَ قتيلاً على وَجْه الطريق.

فسأل عُمَرُ عن أمره واجتهدَ، فلم يقفْ له على خَبَر. فشقَّ ذلك عليه فقال: اللهُّم أظفرني بقاتله، حتَّى إذا كان على رأس الحَوْل وُجدَ صبيٌّ مولودٌ مُلقىً بموضع القتيل. فأتى به عُمَرُ. فقال: ظَفِرْتُ بدم القتيل -إن شاءَ اللهُ تعالى- فدَفَعَ الصَّبيَّ إلى إمرأة، وقال: قومي بشأنه، وخُذي منَّا نَفَقَتَهُ، وانظري من يأخُذُهُ منك. فإذا وجَدْت أمرأةً تُقَبِّلُهُ وتَضُمُّهُ إلى صدرها فأعلميني بمكانها. فلما شَبَّ الصَّبيُّ جاءت جاريةٌ، فقالت للمرأة: إن سيِّدتي بعثَتْني إليك لتبعثي بالصَّبيِّ لتراهُ وتَرُدَّهُ إليك.

قالت: نعم، اذهبي به إليها، وأنا معك. فذهبَتْ بالصَّبيِّ والمرأةُ معه، حتَّى دخلت على سيِّدتها. فلما رأتْه أخذَتْهُ فقبَّلَتْهُ وضمَّتْهُ إليها فإذا هي ابنةُ شيخٍ من الأنصار من أصحاب رسول الله -ﷺ- فأتتْ عُمَرَ فأخْبَرَتْهُ، فاشتملَ على سيفه، ثم أقبلَ إلى منزل المرأة فوجدَ أباها متَّكئًا على باب داره، فقال له: يا فلانُ، ما فعلت ابنتُكَ فلانَةُ؟

قال: جزاها اللهُ خيرًا -يا أميرَ المؤمنين-، هي من أعرف الناس بحَقِّ الله وحَقِّ أبيها، مع حُسْنِ صَلاتها وصيامها والقيام بدينها.

فقال عُمَرُ: قد أحببتُ أن أدخُلَ إليها فأزيدَها رغبةً في الخَيْر، وأحُثَّها عليه.

فدخل أبوها ودخل عُمَرُ معَهُ.

فأمر مَنْ عندها فخرجَ وبَقيَ هو والمرأةُ في البيت، فكشفَ عُمَرُ عن السَّيف، وقال: أصدُقيني، وإلا ضربتُ عُنُقَك، وكان لا يكْذبُ، فقالت: على رسلكَ، فوالله لأصْدُقَنَّ: إنَّ عجوزًا كانت تدخُلُ عليَّ فأتخذُها أمًّا، وكانت تقومُ من أمري

بما تقومُ به الوالدةُ. وكنتُ لها بمنزلة البنت، حتى مضى لذلك حينٌ، ثم إنها قالت: يا بنيَّتي، إنه قد عَرَضَ لي سَفَرٌ، ولي ابنةٌ في موضعٍ أتخوَّفُ عليها فيه أن تَضيعُ، وقد أحببتُ أن أضُمَّها إليك حتى أرْجِعَ من سفري، فعَمَدَتْ إلى ابنٍ لها شابٍّ أمْرَدَ، فهيَّأتْهُ كهيئَة الجارية، وأتَتْني به. لا أشُكُّ أنه جاريةٌ. فكان يرى مني ما ترى الجاريةُ من الجاريةُ، حتى أغْتَفَلَني يومًا وأنا نائمةٌ.

فما شعرتُ حتى علاني وخالَطَني.

فمدَدْتُ يدي إلى شَفْرة كانت إلى جنبي فقتَلْتُهُ. ثُمَّ أمرتُ به فأُلقيَ حيثُ رأيتَ، فاشتملتُ منه على هذا الصَّبيِّ. فلما وضَعْتُهُ ألقيتُهُ في موضعِ أبيه.

فهذا ولله خبرُهما على ما أعلَمْتُكَ.

فقال: صدقت. ثم أوصاها، ودعا لها وخَرَجَ.

وقال لأبيها: نِعْمَتِ الابنةُ ابْنَتُكَ. ثم انْصَرفَ»[1]

٢- علي بنُ أبي طالبٍ -رضيَ اللهُ عنه-:

ومن ذلك: أن رَجُلَين من قُريش دفعَا إلى امرأة مائةَ دينار وَديْعَةً، وقالا: لا تدفَعيها إلى واحد منَّا دونَ صاحبه. فلبث حولاً. فجاءَ أحَدُهما.

فقال: إن صاحبي قد مات فادفعي إليَّ الدنانيرَ. فأبَتْ، وقالت: إنَّكُما قلتا لي لا تدفعيها إلى واحد منَّا دونَ صاحبه، فلستُ بدافعَتها إليكَ، فَثَقُلَ عليها بأهلها وجيرانها حتَّى دفعَتْها إليه، ثم لبِثَتْ حولاً آخَرَ، فجاءَ الآخرُ فقال: ادفعي إليَّ الدنانيرَ.

فقالت: إن صاحبَك جاءَني فزعَمَ أنَّكَ قدمتَ، فدفَعْتُها إليه.

(١) «الطرق الحكمية» لابن القيم (٣٣-٣٤).

فاحتكما إلى عُمَرَ -رضي الله عنه- فأرادَ أن يقضيَ عليها.

فقالت: أدفَعْنا إلى عليٍّ بن أبي طالب، فعَرَفَ عليٌّ أنهما قد مكرا بها فقال: أليسَ قد قلتما: لا تدفعيها إلى واحدٍ منَّا دونَ صاحبِه؟ قال: بلى.

قال: فإنَّ مالكَ عندها، فاذهب فجيءْ بصاحبكَ حتَّى تدفَعَهُ إليكما»(١)

٣- كعبُ بنُ سورٍ -رضي الله عنه-:

قال ابنُ القيم -رحمه الله-: فهذا عمرُ بنُ الخطاب -رضي الله عنه-، أتَتْهُ امرأةٌ فشكرت زوجَها وقالت: «هو من خيارِ أهلِ الدنيا، يقومُ الليلَ حتَّى الصباحِ، ويصومُ النهارَ حتى يُمْسيَ. ثم أدركها الحياءُ، فقال: «جزاك اللهُ خيراً فقد أحسنْتِ إليه.

فلما ولَّت قال كَعْبُ بنُ سُور: «يا أميرَ المؤمنين، لقد أبْلَغَتْ في الشَّكْوى إليكَ، فقال: وما شكَتْ؟ قال زوجَها. قال: عليَّ بهما.

فقال لكَعْبٍ: اقْضِ بينهما. قال: أقضي وأنت شاهدٌ؟

قال: إنَّكَ قد فَطِنْتَ إلى ما لَمْ أفْطَنْ له.

قال: إن الله يقول: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣].

صُمْ ثلاثةَ أيامٍ، وأفْطِرْ عندها يومًا، وقُمْ ثلاثَ ليالٍ، وبتْ عندها ليلةً، فقال عُمَرُ: هذا أعجبُ إليَّ من الأوَّل». فبَعَثَهُ قاضيًا لأهلِ البَصْرة.

فكان يَقَعُ له في الحكومةِ من الفراسةِ أمورٌ عجيبةٌ»(٢).

---

(١) «الطرق الحكمية» (٣٦).

(٢) «المرجع السابق» (٢٩).

٤- إياسُ بنُ معاويةَ -رحمه الله-:

ومِمَّن اشْتُهِرَ بالفراسة في التاريخِ الإسلاميِّ إياسٌ القاضي -رحمهُ اللهُ- ولهُ قصَصٌ عجيبةٌ في الفِراسة فمن ذلك:

- قِصَّةُ صاحبِ الأمانة:

قال المدائنيُّ عن رَوْحٍ: استودعَ رَجُلٌ رجلاً من أبناء الياس مالاً ثم رجع فطلبَهُ فَجَحَدَهُ، فأتى إياسًا فأخبرَهُ، فقال له إياسُ: انْصرفْ فاكتمْ أمْرَكَ، ولا تُعْلِمْهُ أنَّكَ أتيتَني. ثم عُدْ إليَّ بعدَ يومين. فدعا إياسُ المُوْدَعَ.

فقال: قد حضر مالٌ كثيرٌ، وأريدُ أن أُسَلِّمَهُ إليك، أفحصينٌ منزلُكَ؟

قال: نعمْ.

قال: فأعدَّ له موضعًا وحَمَّالين.

وعاد الرجلُ إلى إياسَ، فقال: انْطَلِقْ إلى صاحبك فاطلبِ المالَ فإن أعطاك فذاك، وإن جَحَدَك فقُلْ له: إني أُخْبِرُ القاضيَ.

فأتى الرجُلُ صاحبَهُ فقال: مالي، وإلا أتيتُ القاضيَ، وشكوتُ إليه، وأخبرْتُهُ بأمري، فدفَعَ إليه ما لَهُ، فرجعَ الرجلُ إلى إياسٍ.

فقال: قد أعطاني المالَ، وجاءَ الأمينُ إلى إياسٍ لموعده، فزجَرَهُ وانْتَهَرَهُ، وقال: لا تَقْرَبْني يا خائنُ»[1].

- قصةُ آخَرَ صاحبِ أمانةٍ -أيضًا:

استودع رَجُلٌ لغَيْرِه مالاً، فجَحَدَهُ، فَرَفَعَهُ إلى إياسَ، فسألَهُ فأنكَرَ، فقال للمدَّعي: أين دفعتَ إليه: فقال: في مكانٍ في البَرِيَّة، فقال: وما كان هناك؟

(١) «الطرق الحكمية» (٣٧).

قال: شجرةٌ، قال: اذهبْ إليها فلعلَّك دفنْتَ المالَ عندها ونسيْتَ، فتَذْكُرَ إذا رأيت الشجرةَ؛ فمضى، وقال للخَصْمِ: اجلسْ حتى يَرْجِعَ صاحبُك.

وإياسٌ يقضي وينظُرُ إليه ساعةً بعد ساعةٍ. ثُمَّ قال: يا هذا، أترى صاحبَك قد بلغ مكانَ الشجرةِ؟

قال: لا، قال: يا عدوَّ الله، إنك خائنٌ.

قال: أقلْني.

قال: لا أقالَكَ اللهُ.

وأمر أن يُحْتَفَظَ به حتى جاءَ الرَّجُلُ، فقال له إياسٌ اذهبْ معهُ فَخُذْ حَقَّكَ(١).

٥- أبو جعفر -المنصورُ- رحمه الله-:

ومن دقيق الفراسة: أن المنصورَ جاءهُ رجلٌ، فأخبرهُ أنَّه خرج في تجارة فكَسبَ مالاً، فدفَعَهُ إلى امرأته، ثم طلبهُ منها، فذكَرَتْ أنه سُرِقَ من البيت، ولم يَرَ نَقْبًا ولا أمارةً. فقال المنصورُ: منذ كم تزوجْتَها؟

قال: منذ سنة.

قال: بكرًا أوثَيِّبًا؟ قال: ثَيِّبًا.

قال: فلها ولدٌ من غيرك؟

قال: لا.

قال: فدعا المنصورُ بقارورة طِيْب كان يتَّخِذُهُ حادٍّ الرائحة، غريبِ النَّوعِ، فوضعها إليه، وقال: تطَيَّبْ من هذا الطيبِ فإنه يُذهِبُ غَمَّكَ.

(١) «الطرق الحكمية» (٣١).

فلما خرجَ الرجلُ من عنده قال المنصورُ لأربعة من ثقاته: يَقْعُدُ على كلِّ بابٍ من أبوابِ المدينة واحدٌ منكم، فمَنْ شمَّ منكم رائحةَ هذا الطِّيبِ من أحدٍ فليأتِ به.

وخرج الرجلُ بالطِّيبِ فدفعَهَ لامرأته.

فلما شَمَّتْهُ بَعثَتْ به إلى رَجُلٍ كانت تُحبُّهُ، وقد كانت دَفَعَت إليه المالَ. فتطيَّبَ منه، ومَرَّ مجتازًا ببعضِ أبوابِ المدينة فَشَمَّ الموكَّلُ بالبابِ رائحتَهُ عليه، فأتى به المنصورُ، فَسَأَلهُ: من أين لك هذه الطِّيبُ؟

فَلَجْلَجَ في كلامه.

فبعثَ به إلى والي الشرطة. فقال: إن أحضر لك كذا وكذا من المالِ فَخَلِّ عنه وإلا اضربْهُ ألفَ سَوْطٍ.

فلمَّا جُرِّ للضَّرْب أحضر المالَ على هيئته. فدعا المنصورُ صاحبَ المالِ، فقال: إن رددْتُ إليك المالَ تحكّمْني في امرأتكَ؟

قال: نعم.

قال: هذا مالُكَ. وقد طلَّقْتُ المرأةَ منْك[1].

٦- الخليفةُ العباسيُّ المعتَضِدُ -رحمه الله-:

ومن ذلك: ما يُذكَرُ عن المعتضد بالله، أنه كان جالسًا يشاهدُ الصُّنَّاعَ. فرأى فيهم أسودَ مُنْكَرَ الخِلْقَة، شديدَ المَرَح، يعملُ ضعفَ ما يعملُ الصُّنَّاعُ، ويصعَدُ مرقاتين مرقاتين. فانكَرَ أمرَهُ، فأحضرهُ وسألَهُ عن أمره؟ فَلَجْلَجَ، فقال: لبعض جلسائه: أيُّ شيءٍ يقعُ لكم في أمره؟ قالوا: ومَنْ هذا حتى تصرفَ فكْرَكَ إليه؟ لعلَّهُ لا عيالَ لَهُ، وهو خالي القلب.

(١) «الطرق الحكمية» (٤٦-٤٧).

فقال: قد خَمَّنْتُ في أمره تخمينًا، ما أحسبُهُ باطلاً: إمَّا أن يكون معهُ دنانيرُ، قد ظَفِرَ بها دفعةً، أو يكونُ لصًّا يتستَّرُ بالعمل.

فدعا به، واستدعى بالضرَّاب فَضَرَبَهُ، وحلَفَ له أن لم يَصْدُقْهُ أن يَضرِبَ عُنُقَهُ.

فقال: لي الأمانُ.

قال: نعم إلا فيما يجبُ عليك بالشرع. فظنَّ أنه قد أمَّنَهُ.

فقال: قد كنتُ أعملُ في الآجُر، فاجتازَ رجلٌ في وسطه همْيانٌ، فجاء إلى مكان فجلسَ وهو لا يعلمُ مكاني فحَلَّ الهميانَ، وأخرج منه دنانيرَ فتأمَّلْتُهُ، وإذا كُلُّهُ دنانيرُ فساوَرْتُهُ وكتَفْتُهُ وشدَدْتُ فاهُ، وأخذْتُ الهميانَ، وحمَلْتُهُ على كتفي وطرحْتُهُ في الأتُون وطيَّنْتُهُ.

فلمَّا كان بعدَ ذلك أخرجْتُ عظامَهُ فطرحْتُها في دَجْلَةَ.

فأنفذَ المعتضدُ من أحفر الدنانيرَ من منزله، وإذا على الهميانَ مكتوبٌ: فلانُ بن فلانَ، فنادى في البلد باسمه. فجاءت امرأةٌ. فقالت: هذا زوجي. ولي منه هذا الطفلُ، خرج وقت كذا وكذا ومعهُ ألفُ دينار فغاب إلى الآنَ. فسلَّمَ الدنانيرَ إلى مرأته. وأمرها أن تَعْتَدَّ، وأمر بضَرْبِ عنقِ الأسود، وحَمْلِ جثَّته إلى ذلك الأتُون[1].

عجيبةٌ للمعتضِد

كان للمعتضد من ذلك عجائبُ منها: أنَّهُ قام ليلةً. فإذا غلامٌ قد وثَبَ على ظهر غلام، فانْدَسَّ بين الغلمان فلم يعرفْهُ. فجاء فجعَلَ يضَعُ يَدَهُ على فؤاد واحد بعد واحد، فيجدُهُ ساكنًا، حتَّى وضع يَدَهُ على فؤاد ذلك الغلام، فإذا به يَخْفُقُ خفْقًا شديداً. فركَضَهُ برِجْله، واستقرَّهُ، فأمر فقَتَلَهُ[2].

(١) «المرجع السابق» (٤٧-٤٨).

(٢) «المرجع السابق» (٤٨).

- قصةُ المعتضدِ مع الهاشميِّ:

ومنها: إنه رُفِعَ إليه صيَّادٌ ألقى شبكتَهُ في دَجْلَةَ، فوقعَ فيها جرابٌ فيه كَفٌّ مخضوبةٌ بحنَّاءَ، فأُحْضِرَ بين يديه، فهالَهُ ذلك، وأمر الصيَّادَ أن يعاودَ طَرْحَ الشبكة هنالك ففَعَلَ، فأخرجَ جرابًا آخَرَ فيه رجلٌ، فاغتَمَّ المعتضدُ وقال: معي في البلد من يفعلُ هذا ولا أعرفُهُ؟ ثم أحضر ثقةً له وأعطاهُ الجرابَ، وقال: طُفْ به على كُلِّ من يعملُ الجُروبَ ببَغْدادَ، فإن عرفَهُ أحدٌ منهم فاسألْهُ عمَّن باعَهُ منه. فإذا دلَّكَ عليه فاسأل المشتري عن ذلك ونقِّر عن خبره.

فغاب الرجلُ ثلاثةَ أيام، ثم عادَ، فقال: ما زلتُ أسألُ عن خَبَره حتى انتهى إلى فلانَ الهاشميِّ، اشتراه مع عَشَرَةِ جُروُب، وشكا البائعُ شرَّهُ وفسادَهُ، ومن جُمْلَة ما قال: إنه كان يعشَقُ فلانةَ المغنِّيَةَ وأنه غيَّبَها، فلا يُعْرَفُ لها خَبَرٌ، وأدَّعى أنها هربتْ والجيرانُ يقولون: قَتَلَها. فبعث المعتضدُ من كبس منزلَ الهاشميِّ وأحضرَهُ، وأحضر اليَدَ والرجلَ وأراه إياهما.

فلما رآهما انتقع لونُهُ، وأيقنَ بالهلاك واعترفَ. فأمر المعتضدُ بدفعِ ثمنِ الجارية إلى مولاها، وحَبَسَ الهاشميَّ حتَّى مات في الحَبْس»[1].

٧- أحمدُ بنُ طولون -رحمه الله-:

ومن عجيب الفراسة ما ذُكرَ عن أحمدَ بن طولونَ أنه بينما هو في مجلس لهُ يَتَنَزَّهُ فيه إذا رأى سائلاً في ثوبٍ خَلِقٍ. فوضعَ دجاجةً على رغيفٍ وحلوى وأمرَ بعضَ الغِلمان فدفعَهُ إليه.

فلما وقع في يده لم يَهِشَّ، ولم يَعْبَأْ به. فقال للغلامِ: جئتني به. فلَّما وقف قُدَّامَهُ استنطَقَهُ، فأحسن الجوابَ، ولم يضطربْ من هيبته. فقال: هات الكُتُبَ

(١) «المرجع السابق» (٤٨-٤٩).

التي معك، واصدُقْني من بعثَكَ؛ فقد صَحَّ عندي أنك صاحبُ خبرٍ، وأحضر السياطَ، فاعترفَ.

فقال بعضُ جلسائه: هذا -والله- السِّحْرُ قال: ما هو بسحْرٍ، ولكن فراسةٌ صادقةٌ. رأيتُ سُوْءَ حالَه، ووجَّهْتُ له بطعامٍ يَشْرَهُ لأكله الشَّبْعانُ، فما هَشَّ لَهُ، ولا مَدَّ يَدَهُ إليه. فاحضَرْتُهُ فتلقَّاني بقوَّة جأشٍ فلما رأيتُ رثاثة حاله، وقوَّةَ جأشه، علمتُ أنه صاحبُ خبرٍ فكان كذلك[١].

- عجيبة لابنِ طولونَ:

رأى ابن طولونَ يومًا حمَّالاً يحملُ صنًّا[٢] وهو يضْطَرِبُ تحتَهُ. فقال: لو كان هذا الاضطرابُ من ثقَلِ المحمولِ لغاصَتْ عُنُقُ الحمَّال، وأنا أرى عُنُقَهُ بارزةً، وما أرى هذا الأمرَ إلا منْ خوف، فأمر بحَطِّ الصَّنِّ فإذا فيه جاريةٌ مقتولةٌ. وقد قُطِّعَتْ. فقال: اصدقني عن حالها. فقال: أربعةُ نَفَرٍ في الدارِ الفلانية أعطوني هذه الدنانيرَ، وأمروني بحَمْلِ هذه المقتولة. فضربَهُ وقتلَ الأربعةَ.

قال ابنُ القَيِّم -رحمه الله-: وكان يتنكَّرُ ويطوفُ بالبلد يسمعُ قراءةَ الأئمة. فدعا ثقَتَهُ، وقال: خُذْ هذه الدنانيرَ، وأعطها أمامَ مسجد كذا، فإنه فقيرٌ مشغولُ القلب، ففعل، وجلس معهُ وباسطَهُ، فوجدَ زوجَتَهُ قد ضربَها الطَّلْقُ، وليس معه ما يحتاجُ إليه. فقال: صدقَ عرفَ شُغْلَ قلبه في كَثْرَةِ غلطه في القراءَة[٣].

٨- بعضُ أصحابِ الشرطَةِ:

قال ابنُ القيِّم -رحمهُ اللهُ-: إن اللصوصَ أخذوا في زَمَنِ المُكْتَفي بالله مالاً عظيمًا، فأكرمَ المكتفي صاحبَ الشرطة بإخراجِ اللصوصِ، أو غرامةِ المالِ فكان

(١) «المرجع السابق» (٥١).
(٢) الصن: وعاء شبه السلة المطبقة.
(٣) «الطرق الحكمية» (٥١-٥٢).

يركبُ وحدَهُ ويطوفُ ليلاً نهاراً إلى أن اجتازَ يومًا في زقاقٍ خالٍ في بعضِ أطرافِ البلدِ، فدخلهُ، فوجَدَهُ مُنكَرًا، ووجَدَهُ لا يَنْفُذُ فرأى على بعضِ أبوابِهِ شوكَ سمكٍ كثيرٍ، وعظامَ الصُّلْبِ.

فقال لشخصٍ: كم يقومُ تقديرُ ثَمَنِ هذا السَّمَكِ الذي هذا عظامُهُ؟

قال: دينارٌ. قال: أهلُ الزقاقِ لا تَحْتَمِلُ أحوالُهم مُشْتَرَى مِثْلَ هذا لأنه زقاقٌ بين الاختلالِ إلى جانبِ الصحراءِ.

لا ينزلُ من معهُ شيءٌ يخافُ عليه، أولهُ مالٌ يُنْفِقُ منه هذه النَّفَقَةَ.

وما هي إلا بليةٌ، ينبغي أن يُكْشَفَ عنها. فاستبعدَ الرَّجُلُ هذا وقال: هذا فكْرٌ بعيدٌ.

فقال: اطلبوا لي امرأةً من الدَّرْبِ أكَلِّمْهَا. فدقَ بابَ غيرِ الذي عليه الشَّوكُ، واستسقى ماءً، فخرجَتْ عجوزٌ ضعيفةٌ، فما زال يطلبُ شربةً بعد شربةٍ، وهي تسقيه، وهو في خلالِ ذلك يسألُ عن الأَرْبِ وأهله، وهي تخبرُهُ غير عارفةٍ بعواقبِ ذلك. إلى أن قال لها: وهذه الدارُ مَن يسكنُها؟ وأومأ إلى التي عليها عظامُ السَّمَكِ. قالت: فيها خمسةُ شبانَ أعفارٍ[1]، كأنهم تجارٌ. وقد نزلوا منذ شَهْرٍ لا نراهم نهاراً إلا في كل مُدَّةٍ طويلةٍ ونرى الواحدَ منهم يخرجُ في الحاجةِ ثم يعودُ سريعًا. وهم في طول النهارِ يجتمعون فيأكلون ويشربون، ويلعبون بالشطرنجِ والنرد. ولهم صبيٌّ يخدمُهم. فإذا كان الليلُ انصرفوا إلى دارٍ لهم بالكَرْخِ، ويَدَعُون الصبيَّ في الدارِ يحفظُها، فإذا كان سحرًا جاءوا ونحن نيامٌ لا نشعرُ بهم. فقال للرجُلِ: هذه صفةُ لصوصٍ أم لا. قال: بلى.

(١) «الطرق الحكمية» (٦٥).

فأنْفَذَ في الحال فاستدعى عَشَرةً من الشُّرَط وأدخلهم إلى أسطحة الجيران، ودقَّ هو البابَ. فجاء الصبيُّ ففتَحَ. فدخل الشُّرَطُ معهُ فما فاته من القومِ أحدٌ. فكانوا هم أصحابَ الجنايةِ بعينهم.

ومن ذلك: أن بعضَ الولاة سمعَ في بعض ليالي الشتاء صوتًا بدار يطلبُ ماءً باردًا. فأمر بكبس الدار، فأخرجوا رجُلاً وامرأةً، فقيلَ له من أين علمتَ؟

قال: الماءُ لا يُبَرَّدُ في الشتاء، إنما ذلك علامةٌ بين هذين[1] وأحضر بعضُ الولاة شخصين متَّهمين بسرقة. فأمر أن يؤتى بكوز من ماء، فأخذه بيده فألقاهُ عمدًا فانكسرَ، فارتاعَ أحدهُما، وثبتَ الآخرُ فلم يتغيَّرْ، فقال للذي أنزعَجَ: اذهبْ. وقال للآخرِ: أحضرِ العملَةَ. فقيل له: من أين عرفْتَ؟

فقال: اللِّصُّ قويُّ القلب لا يَنْزَعِجُ. والبريءُ يرى أنه لو نزلَتْ في البيتِ فأرةٌ لأزعجَتْهُ، ومنعَتْهُ من السَّرِقَةِ[2].

٩- الشيخُ صالحُ بنُ عثمانَ -رحمه الله-:

ومن هذا القبيلِ ما حدثَ في عهد قريب مع الشيخ صالحِ بنِ عثمانَ قاضي عُنَيْزَةَ -هو شيخُ عبد الرحمن السعديِّ -رحمهما الله- كان قاضيًا صاحبَ وَرَعٍ وتقوى وخبْرَةٍ وفراسة جاءهُ مرَّةً رجُلٌ يعرفُهُ أنه من أهلِ الصَّلاحِ يعملُ جزارًا وآخرُ بدويٌّ، يقولُ المدَّعي: جاءني هذا البدويُّ وباعَ عليَّ غَنَمَهُ، فأعطيتُهُ الدراهمَ حولَ المغرب، ثم جاءني في ثاني يومٍ في النهار يقول: أعطني ثمنَ الغنم، فقلتُ: أعطيتُك إياها البارحَةَ، فقال: ما أعطيتني شيئًا، فذهب إلى الشيخِ، وكان يَحْمِسُ قهوتَهُ- ماء

(١) أي علامةُ خيانة أنها جعلا هذا النداء علامةً بينهما، فإذا نادى أحدُهما الآخرَ فيكونُ بطلب الماء البارد وعَلِمَ الوالي أن الماءَ لا يُبَرَّدُ في الشتاء فهو باردٌ بذاته وهذا من دقيق الفراسةَ.

(٢) «الطرق الحكمية» (٥٢-٥٣).

يفورُ على النارِ ويَغْلق لأجلِ القهوةِ -قال: يا بدويُّ! في جيبك دراهمُ، قال: نعم. قال: أعطني إياها.

فسكبَ الماءَ في الإناءِ ثم طرحَ الدراهمَ التي مع البدويِّ في الإناءِ فطفا الدُّهْنُ على سطحها.

فقال: يا كذابُ! هذه دراهمُ جزارٍ إذًا هو أعطاك ثَمَنَها!

١٠- أحدُ قضاةِ عصرِنا

يقولُ أحدُ الأخوةِ: تشرَّفْتُ بالعملِ سنينَ عدداً عند قاضٍ فاضلٍ عالمٍ عاملٍ وفي أحد الأيامِ المعتادةِ في المحكمة شرعتُ في ضبط لائحة الدعوى العامة في الضبط، وكانَ خلاصتُها اتهامَ شابٍّ وفتاة بجريمة الزِّنا. وعند مناداة الخصومِ دخل الشابُّ أولاً وأقرَّ بوجود علاقة هاتفية تطوَّرَتْ إلى لقاء لكنه أقسمَ أشدَّ الإيمانِ وأغلَظَها أن الأمرَ لم يصلْ إلى حدِّ الزنا دخلت بعدهُ المرأةُ وأقرَّتْ بجريمة الزنا بالتفصيل!

كانت أعينُ شيخنا كعادته تَتَفرَّسُ في الخصومِ لحظاتهم وسكناتهم ثم ختمَ الشيخُ المرافعةَ ورُفعَتْ الجلسةُ للدراسة.

رأيتُ الشيخَ ينادي العسكريَّ فهمسَ في أذنه بعدَها نادى الأبَ وقال له سأرسلُ خطاباً للمستشفى للكشف على ابنتكَ فاذهبْ بها، بعدها سألني عن رأيي.

قلتُ له: أما المرأةُ فقد اعترفَتْ وأما الشاب فقد أنكرَ فلم يبقَ إلا النظرُ في الأدلة المقامة ضدَّهُ من المدعي العامِّ.

قال لي: يغلبُ على الظَّنِّ أن جريمةَ الزنا لم تَحْدُثْ!

قلتُ له: لماذا تعترفُ المرأةُ بشيءٍ لم ترتكبْهُ وتُمَرِّغُ عرضَها وعرْضَ أهلها بالأرضِ؟!

قال تصرفاتُها ناشيءٌ بأنها تعشَقُ هذا الفتى جنونٌ، والجنونُ فنونٌ[١].

بعد مدة عادَ الخطابُ من المستشفى وكان مضمونُهُ الاستفْسَارَ عن بكارة الفتاة فيه: أن الفتاةَ لم تُفَضَّ بكارتُها!

وصدقت فراسةُ الشيخِ فلم يكن اعترافُ المرأةِ سوى وسيلةِ ضغطٍ أرادت الفتاةُ استعمالَها لتُجْبِرَ الفتى على الزواجِ بها!

سألتُ شيخنا فيما بعد كيفَ عرفَ ذلك؟

قال: عندما خرجَتْ الفتاةُ من مجلسِ الحكمِ لحقتْ بالفتى خارجَ المحكمة ترجوه أن يتزوَّجَها وهو يهربُ منها فإذا أضفْنا لذلك أسلوبَها في الكلامِ ونظراتِها أثناءَ الجلسة للفتى فقد استنتجتُ أنها ترغبُ به وهو راغبٌ عنها فلربَّما تكونُ كاذبةً في إقرارِها لتُلزِمَهُ على الزواجِ بها فلذلك كتبتُ الخطابَ حتَّى أتأكَّدَ.

حينها عرفتُ فائدةَ الفِراسةِ التي يُحكى أن الإمامَ الشافعيَّ رَحَلَ إلى اليمنِ لطلَبِها!

القضاءُ فَهْمٌ

قال ابنُ القيم -رحمهُ اللهُ-: قال رَجُلٌ لإياسَ بن معاويةَ: علمني القضاءُ. فقال: إن القضاءَ لا يُعَلَّمُ إنما القضاءُ فَهْمٌ. ولكن قُلْ علمني العلمَ.

وهذا سرُّ المسألة. فإن الله -سبحانه وتعالى- يقولُ: ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

(١) هذا صحيحٌ فقد قال ابنُ القيمِ -رحمه الله- في كتابه «روضةُ المحبِّين» (١٨٤): «الجنونُ فنونٌ والعشْقُ فنٌّ من فنونه».

فَحَصَّ سليمانَ بفَهْمِ القضيَّة، وعمَّهما بالعلم. وكذلك كتبَ عُمَرُ إلى قاضيةٌ أبي موسى في كتابه المشهور: «الفَهْمَ الفَهْمَ فيما أُدلِيَ إليكَ»(١).

والذي اختُصَّ به إياسُ وشُرَيْحُ مع مشاركتهما لأهلِ عصرِهما في العلمِ هو: الفَهْمُ في الواقعِ، والاستدلالُ بالأمارات وشواهدِ الحالِ وهذا الذي فاتَ كثيراً من الحكامِ، فأضاعوا كثيراً من الحقوقِ»(٢).

●●●

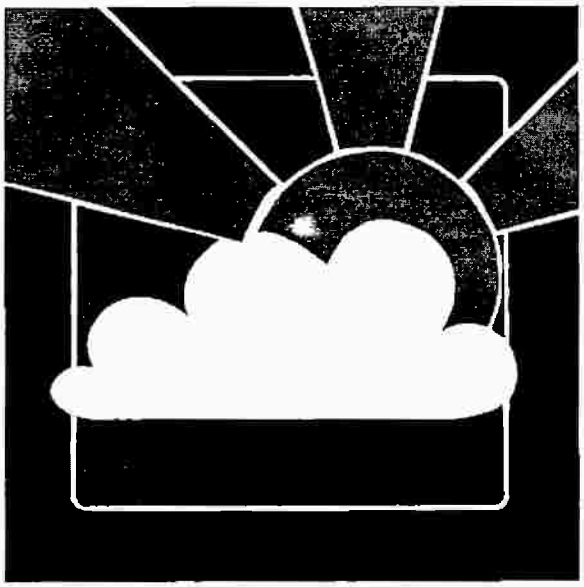

(١) أخرجهُ البيهقيُّ في «السننِ الكبرى» (٢٠٣٢٤) وصححهُ الألبانيُّ في «الإرواء» (٢٦١٩). فانظر إنْ رُمْتَ فائدةً.

(٢) «الطرق الحكمية» (٤٠).